لا أملك الحياة ...

« رسالة الى صديقة »

صديقتي
سؤالك القديم ، ذلك المساء
يظل يوقظ الحنين في دمي ويمسح
الضلوع بالاشواق
اليك ، كلما توغل المساء
ومد ظله الكئيب في جوانب الافاق .
لا شك تذكرين اذ سألتني
وكنت تشخصين في الدجى الصموت
تستقرئين سره العميق .. «لِمَ نموت
وليس في أرواحنا شوق الى العدم؟»
أكنت تأملين ان أجيب ؟!
وكيف لي .. ولست بالعجائبي
حافظ الغيوب
ولست املك الاسرار او افوه بالحكم .
سؤالك الاليم هزني .. زلزال
وخلتني وقد صمتت في اساي
سادرا عن السؤال!
وربما حسبتني مع السنين قد نسيت
والحق ما نسيت ..

***

أفيق من هموم يومي لاهب الشجون
جائع الخيال
واقطع المساء صامتا مستوحش الاعماق
ونلتقي ..
(كل مساء تغمرين مرقدي الجديب
بوجهك الحبيب)
فتمسحين بالرضى جروح خاطري
الحزين
وارغب الحياة باشتياق
وبغتة .. يفر من مبسمك السؤال :
« لم نموت
وليس في أرواحنا شوق الى العدم ؟»
وأستكين للجمود لا ارد
اضيع في مجاهل من الاسى بغير حد .
اقلب السؤال حيرة .. لكنما يرهقني
السؤال .
واقدح الخيال عله يسعفني برد
وعجز الخيال بعد جهد .

***

صديقتي...
كان هذه المدينة المزمجره
كمثلما رحى تدور والقبور حولها
تلم قتلى المجزرة ...!
تقول لي:
« الهو .. والزوال .. شرعتي
وانت ايها الغريب لست من رعيتي
يظل في عينيك دائما سؤال ...
ما أغربه !
يطوف مشرق الاسى ومغربه
ويقلق الاسرار ..
وآخشية الاسرار !!

***

ادور ما ماكت ساعة اطمئنان
صديقتي
لانني حيران
أصادق الوجوه والوجوه دائما تدهلني
غريبة ..!
ودائما تجهلني
في هذه المدينة المزمجره
كم اشتهي مهدا من الحرير اتكي عليه
كم اشتهي مهداً من الحرير
وصاحبا بسمته تشد قلبي الكسير
الناس لاهثون ها هنا ومتعبون
صديقتي
وحين يضحكون أبصر الاسى يضيء
في الشفاه .
كأنهم يسعون في جنازة هم بها
المشيعون
وترقص الاقدار فوقهم وتحتهم وتلطم
الجباه
وغافلين يركضون نحو هوة العدم !
صديقتي واستجير بالهوى ووجهك
الحنون
لكم تروع الظنون هوة العدم

***

قلبي يضيع ها هنا في القبو يختنق
قبو الضجيج والنقود والبغاء والعرق
الشمس ها هنا كئيبة كدمعة الحداد
والليل جارح العيون شاحب الضمير
يمتص من جروحي الخضيبة السرور
الليل موحش اليم
لكنه صديق قومي حين يقصدون
ركنه الركين
يمد كفه مباركا .. فيشربون
ويرقصون
ويطفئون عين الهموم ساعة او ساعتين
(اظل وحدي .. لم ابارك .. والكؤوس
تقرع الكؤوس)
وربما تلطفوا وقدموا لي كاس راح
ـ اشرب فديناك ـ فكل العمر ساعة
او ساعتين
وربما قضيت ايها الصديق دون مطلع
الصباح !
لكنني كرهت يا صديقتي الهموم
والافراح
والموت والحياه
لانني لا املك الحياة ان تفوت !
لا املك الحياة ...

بيروت — **مختار عبد الباقي**